الحزن عليه والتسخط بسبب ما اصابه فاتاه آت فقال ايها الملك ان لي
صاحبا اودعني جوهرة وكانت عندي مدة اتلذذ بها وبزينتها ثم انه استرجعها وانا
اسالك طلبه والزامه باعادة الايداع فقال له كيف الزمه بانه يودع ماله
عندك فقال له والله اودع عندك ولذذك هذه المدة ثم استرده فلم هذا
التسخط فانشرح صدر الملك ورفع العزا واما المال والاهلون الا ودايعه
ولا بد يوما ان ترد الودايع فان قلت قد نوليها زيادة في رفع الدرجات
فاعلم ان هذا مقام عسر لم نصل انت اليه فليس كلامي مع اهل هذه الطبقه
انما كلامي مع جمهور اهل هذا الزمان الذي اندفعنا اليه ولو كان كلامي مع
اهل المقام لقلت لهم تلك النعمه تبدلت باعظم منها ولا يقال انها زالت وهذا
شي طويل ليس من غرض هذا الكتاب فهذه واحدة من الامور الثلاث
التي بمجموعها تعود النعمه وتزول النقمه **الامر الثاني** في فوايد انزوالها
فيقول قد تعرف بالامر الاول وتذعن له ولكن تقول في نفسك انه لا خير
لي في هذه المحنه وليت النعمه لم تزل وان كنت انا السبب في زوالها
فان انت اختلج في ضميرك هذا فاعلم انك لم توف الشكر حقه ولم تحسن السعي في
عودها وكنت كمن ياتي البيوت من غير ابوابها وتلج الدور بدون حجابها فانح ما
في نفسك وارجع الى حسك واعلم ان المحنة من الله تعالى ليست من احد
غيره وهذا كما عرفنا في النعمة سوا فاول ما نعتقده ان الله تعالى هو الفاعل
بك ذلك لتمردك وطغيانك وان انت ظننت في احد من الخلق انه الفاعل
بك هذا فهذه زلة عظيمة يخشى عليك منها دوام المحنه فاذا اعتقدت ذلك وعلمت
المحنه من الله تعالى بعد نعمه تورث عندك الفرح بالمصيبة ثم انظر في نفسك
امؤمن انت ام كافر فان كنت كافرا فمصيبتك بالكفر اشد من سائر المصايب

فابك

فابك على تلك المصيبه وبادر بزوالها ودع عنك الفكر فيما عداها وان كنت
مؤمنا فاعلم ان ما لاقاك في الدهر هو ديدنه وعادته في حق المؤمنين
فان دار الدنيا مملكة اعدايك ومحله بلاياك والانسان لا يكون في مملكة
عدوه مستريحا وانما يكون مصابا معذبا بانواع الانكاد والمتاعب فلا
يستغرب ما اصابك بل اعلم ان القاعدة المستمرة في حقك والغريب ما
جاء على خلافها ولهذا كان سيد الطايفة الجنيد رحمه الله يقول لا استنكر
شيا مما يقع من العالم لاني اصلت اصلا وهو ان الدار دار غم وهم وبلا
وفتنة وان العالم كله شر من حقه ان يتلقاني بكل ما اكره فان
تلقاني بما احب فهو فضل والا فالاصل الاول وانما قلنا ان الدنيا مملكة اعدائنا
ودار احزاننا لما ثبت وصح ان الكافر فيها منعم والمؤمن فيها مسجون وهل
يكون المسجون الا حزينا مصابا فالاصل ان المومن مع الكافر في هذه الدار
كاهل السجن مع السلطان فانظر واعتبر قوله تعالى ولولا ان يكون الناس
امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها
يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين فان تاملت هذا انشرح صدرك
لما يصيبك وعلمت انه دليل على انك من اهل الايمان المقربين عند الرحمن
الذين يريد تطهيرهم من الادناس ويحب تصفية قلوبهم من الوسواس
ولذلك كان السلف رحمهم الله يحتسبون تتابع النعم ويخافون ان يكون استدراجا
وانا قد اعتبرت فوجدت القاعدة المستمرة في هذه الامة ان كل من كان
اكثر ايمانا كانت الدنيا عنه اكثر انزواء والانكاد عنده اكثر ممن دونه
ولذلك كان اشد الناس بلاء الانبيا ثم الامثل فالامثل وما اوذي نبي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)